مجلة القلزم

العلمية للدراسات السياحية والأثارية

ISSN: 1858 - 9928

علمية دورية دولية محكمة - تصدر بالشراكة مع جامعة شندي - السودان

في هذا العدد:

- **أثر الحرب وتداعياتها على قطاع السياحة في السودان (أبريل 2023 م إلى أبريل 2024 م)**
  د. عبد الفتاح عبد العزيز محمد إبراهيم
- **متطلبات النهوض بالسياحة في الولاية الشمالية – السودان**
  د. محمد فتح الرحمن أحمد إدريس
- **أنماط عمارة القباب حول موقع سنار القديمة "عاصمة دولة الفونج الإسلامية"**
  د. حنان هجو الشيخ عبد الرحمن
- **المنشآت الدينية الإسلامية في السودان بمنظور علم الآثار الإدراكي**
  أ. ناهد عبد اللطيف حسن

RSBCRSC

العدد 19 - ذو الحجة 1445هـ - يونيو 2024م

مجلة القلزم
العلمية للدراسات الآثارية والسياحية

هيئة التحرير

الإشراف العام:
د. أحمد علي أحمد عبد الله

رئيس هيئة التحرير
أ. د. حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير
د. عوض أحمد حسين شبا

مدير التحرير
د. ندى بابكر محمد إبراهيم

التدقيق اللغوي
أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني
د. محمد المأمون

التصميم الفني
خالد عثمان

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية - السودان

مجـلة القُـلـزم

AlQulzum Journal
for archeological and tourismstudies

الخرطوم : مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر 2024
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السوق العربي الخرطوم - السودان

ردمك: ISSN: 1858 9928

الهيئة العلمية والإستشارية

أ.د. علي عثمان محمد صالح
جامعة الخرطوم رئيس الهيئة

أ.د. يوسف مختار
جامعة افريقيا العالمية - السودان

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير
جامعة بحري - السودان

أ.د. خضر آدم عيسى
جامعة الخرطوم - السودان

د. هانم العزب
جامعة الزقازيق جمهورية مصر العربية

د. محمد علي الحاج
جامعة صنعاء - اليمن

د. محمد خير محمد العطا
جامعة شندي - السودان

د. فائز حسن عثمان أحمد
جامعة جيزان - السعودية

د.محمد الفاتح حياتي عبد الله الطيب
جامعة الخرطوم - السودان

د.عبد المنعم أحمد عبد الله
جامعة افريقيا العالمية - السودان

د. سامي شرف محمد غالب الشهاب
اليمن

د. أماني نور الدائم محمد مسعود
الهيئة العامة للآثار والمتاحف - السودان

د. محمد فاروق عبد الرحمن علي
جامعة افريقيا العالمية - السودان

د. أحمد حامد نصر حمد
جامعة النيلين - السودان

د. حرم ابو القاسم مدير
جامعة شندي - السودان

د.محمد البدري
جامعة الخرطوم - السودان

د. علي محمد عثمان العراقي
جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

د.جعفر محمد مصطفى ابوزيد
جامعة الزعيم الأزهري - السودان

د. هيفاء بنت حمود بن صالح الشمري
جامعة حائل - المملكة العربية السعودية

د. نهى عبد الحافظ
جامعة الخرطوم - السودان

د. هاشم عوض فضل السيد
جامعة شندي -السودان

د. يوسف العبيد السيد
جامعة شندي - السودان

د. ليلى محمد بوعزة
المتحف العمومي الوطني الجزائري - الشلف - الجزائر

ترسل الأوراق العلمية على العنوان التالي
هاتف: **+249910785855 - +2491215662071**
بريد إلكتروني: **rsbcrsc@gmail.com**
السودان - الخرطوم - السوق العربي
عمارة جي تاون - الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الُقلزم) للدراسات السياحية والآثارية، مجلة علمية مُحكمة، تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة، وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة، وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات، مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

القارئ الكريم ،،،

إن من دواعي سرورنا أن نطل عليكم من خلال العدد التاسع عشر من مجلة القُلزم العلمية للدراسات السياحية والآثارية العلمية الدولية المُحكمة، والتي تصدر بالشراكة مع جامعة شندي - السودان، وقد تميز هذا العدد بموضوعات علمية ورصينة، تناولت «أثر الحرب وتداعياتها على قطاع السياحة في السودانفي الفترة من أبريل 2023 م إلى أبريل 2024 م، ومتطلبات النهوض بالسياحة في الولاية الشمالية - السودان، كما تناولت أنماط عمارة القباب حول موقع سنار القديمة في عاصمة دولة الفونج الإسلامية، و المنشآت الدينية الإسلامية في السودان بمنظور علم الآثار الإدراكي».

وفي الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع،،

هيئة التحرير

المحتويات

الموضوع	الصفحة
أثر الحرب وتداعياتها على قطاع السياحة في السودان (أبريل 2023 م إلى أبريل 2024 م) د. عبد الفتاح عبد العزيز محمد إبراهيم	9
متطلبات النهوض بالسياحة في الولاية الشمالية - السودان د. محمد فتح الرحمن أحمد إدريس	53
أنماط عمارة القباب حول موقع سنار القديمة "عاصمة دولة الفونج الإسلامية" د. حنان هجو الشيخ عبد الرحمن	77
المنشآت الدينية الإسلامية في السودان بمنظور علم الآثار الإدراكي أ. ناهد عبد اللطيف حسن	95

المنشآت الدينية الإسلامية في السودان بمنظور علم الآثار الإدراكي

أ. ناهد عبد اللطيف حسن

قسم الآثار - كلية العلوم الإنسانية- جامعة بحري

المستخلص:

تنوعت المنشآت الدينية في السودان لأغراض وظيفية مختلفة. لتؤدي وظائف مرتبطة بالعقيدة الإسلامية وهي بالتالي تعكس دلالات فكرية إدراكية خاصة بها. ومعبرة عن طبيعة وممارسات العقيدة الإسلامية وسلوكياتها التعبدية في السودان. تشكلت هذه الفكرة الإدراكية التعبدية الخاصة أو ما يمكن تسميتها بالديانة الشعبية، عبر الأسلوب السلمي الذي دخلت به تعاليم الإسلام إلى مجتمع لم يكن متجانسا ثقافياً وعادات وأنماطا اثنيه متباينة تذخر بها وصفا وتفصيلا المصادر القديمة. امتزجت تلك التعاليم بالأنماط الحضارية السائدة وقتها لتشكل واقعا سلوكيا متحدا. تسعى هذه الورقة لتوضح كيف تم ذلك. باستخدامها لمنهج علم الآثار الادراكي. قامت الباحثة بجولات ميدانية لعينات من المنشآت الدينية الإسلامية في أكثر من منطقة ومجموعة اثنية، بهدف فهم وتحليل العملية الثقافية التي أنتجت الرموز الدينية الإسلامية في السودان وللمساهمة في وضع نموذج واضح لدراستها، يتم الاعتماد عليه في تصنيف الآثار الإسلامية ومقارنتها مع مثيلاتها في الأقاليم المختلفة. تكمن أهمية ذلك في محاولة تسليط الضوء على أثر طريقة التحول الفكري الديني في انتاج الثقافة اللامادية وتحديدا العمارة الدينية. استخدمت في ذك منهج الدراسات الوصفية التحليلية، بجمع المعلومات المتوفرة من المصادر التاريخية والجغرافية والعمل الميداني. وخرجت بنتائج حول مكونات الخريطة الادراكية الدينية لهذا المجتمع، والتي كانت سببا في انتاج منشآته الدينية الإسلامية، تعرضها في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الآثار الإسلامية – علم الآثار الإدراكي – القباب – الخلاوي– العمارة الدينية – الخريطة الإدراكية.

The Religious Islamic Structure In Sudan From The Perspective Of Cognitive Archaeology

Nahid Abdelatif Hassan Mohammed

Abstract

The religious structure are varied to satisfy certain purposes associated with the holy Islamic cult. Therefore, it reflects special intellectual nations.

This particular cognitive and devotional concept, or what can be referred to as popular religion, was formed through a peaceful approach that integrated Islamic teachings into a culturally heterogeneous society with diverse customs and ethnic patterns, as described in ancient sources in detail. These teachings blended with the prevailing cultural patterns of the time to form a unified behavioral reality.

This paper seeks to clarify how this was achieved, utilizing the methodology of cognitive archaeology.

The researcher conducted field visits to samples of Islamic religious institutions in multiple regions and ethnic groups, with the aim of understanding and analyzing the cultural process that produced Islamic religious symbols in Sudan. The objective is to contribute to the development of a clear model for studying these symbols, which can be relied upon in classifying and comparing Islamic artifacts with their counterparts in different regions. The significance lies in attempting to shed light on the influence of the religious cognitive transformation on the production of intangible culture, particularly religious architecture.

Descriptive-analytical research methodology was employed, utilizing available information from historical, geographical, and fieldwork sources. The study yielded results regarding the components of the religious cognitive map of this society, which were instrumental in producing its Islamic religious institutions, as presented in this research.

Islamic archaeology - cognitive archaeology - Quba - Khalwa - Religious architecture - cognitive map

المقدمة:

يطمح علم الاثار الادراكي لدراسة وتحليل النواحي الفكرية للمجتمعات، لما لها من أهمية في فهم كل العمليات الثقافية المرتبطة بالمجتمعات. وذلك من خلال التوصل للخريطة الإدراكية التي تتكون من تجارب الماضي وتخيلات المستقبل، وهي تتوحد في خطوطها العريضة وتختلف في التفاصيل الدقيقة لدى المجموعة التي تعيش في منطقة محددة وتربطها قواسم مشتركة. (Renfrew, 1993. p.369-393)

ينظر علماء علم الآثار الادراكي إلى المخلفات الإنسانية الناتجة عن النشاط الإنساني سواءً كانت مادية أو غير مادية إلى أنها رموز تحمل دلالات فكرية إدراكية. ويعتبر علم آثار الدين أحد فروع هذا العلم. كما يفيد التعرف على مكونات المشهد الطبيعي الديني (Religion landscape archaeology) في فهم الدلالات الفكرية الدينية وعناصرها.

ومن المسائل المهمة أيضاً لفهم الخريطة الإدراكية لمجتمع ما، ملاحظة أن التغير الديني يؤدي إلى ظهور ديانات محلية تحمل بداخلها بقايا المعتقدات والممارسات القديمة التي تعود لقرون عدة، مثل التي تم احتواءها بواسطة الكنيسة خلال العهود الرومانية الأخيرة والعصر الوسيط الحاملة للدين الجديد. وتظهر عدة نواحي من التواصل الحضاري، فمثلاً بانتشار المسيحية فإن بعض التطورات حدثت مثل استخدام لغات ولهجات محلية بالإضافة إلى التجهيزات العامة الموازية للممارسات المحلية. وذلك أدى إلى ما يمكن تسميته بالديانات

التوافقيــة. مثــل التقاليــد واللغــات الســلتية في الأطــراف الغربيــة لأوروبــا وفي اللغــات السريانيــة والنوبيــة والأثيوبيــة في شرق وشــمال شرق أفريقيــا في العصــور الوســطى. (Edwards.2004.p219).

طبيعة الإسلام في السودان:

تشــكلت الطبيعــة الخاصــة للإســلام في الســودان مــن خــلال الطريقــة الســلمية التــي دخــل بهــا، والأحــداث التــي تزامنــت مــع ذلــك.

وصلــت تباشــير الدعــوة الإســلامية منــذ فجــر الدعــوة إلى الســودان واعتنقتهــا الجماعــات وأفــراد , وقــد كانــت هجــرة الجماعــات العربيــة الى الســودان هــي المســبب الرئيــسي لانتشــار الإســلام بالســودان. فبعــد أن حلــت هــذه القبائــل بالســودان بــدأ الاختــلاط بالســكان المحليــين، ســواء مــن العنــاصر النوبيــة أو البجــة أو ســكان غــرب الســودان بــدار فــور وكردفــان. وبعــد فتــح عمــرو بــن العــاص لمــصر عــام 641م وبعــد اســتتباب الأمــن بهــا أرســل حملــه إلى بــلاد النوبــة والتــي هزمــت بواســطة رمــاة الحــدق فتــم إرســال حملــة ثانيــة عــام (651-652م) انتهــت بعقــد اتفاقيــة البقــط (مســعد.1960 ص ـ60).

ظلــت هــذه الاتفاقيــة قائمــة مــدة ســتة قــرون، أحدثــت في هــذه الفــترة كثــير مــن المؤثــرات الدينيــة والسياســية والاجتماعيــة والاقتصاديــة عــلى المنطقــة. ورغــم أن المعاهــدة ضمنــت للمســلمين فتــح النوبــة للتجــارة والســماح للتجــار بزيــارة البــلاد دون أن يقيمــوا فيهــا، إلا أن التجــار المســلمين اســتقروا فيهــا و لعبــوا دورا كبــيراً وفعــالاً في نــشر الدعــوة الإســلامية.

وأيضــاً بالرغــم مــن أن المعاهــدة كانــت تنــص عــلى عــدم إقامــة أي طــرف في بلــد الآخــر، إلا أنــه بعــد الانتهــاء مــن توقيــع الاتفاقيــة ورجــوع الجيــش الإســلامي إلى مــصر، تخلــف بعضهــم واســتقر بهــم المقــام في أرض النوبــة، وبــدءوا في نــشر الإســلام وتعاليمــه في المنطقــة. إضافــة إلى أن المســلمين لــم يلتزمــوا بهــذا البنــد حيــث تدفقــت موجــات هجــرات عربيــة إســلامية كبــيرة إلى بــلاد النوبــة وطبعــت المجتمــع النوبــي في العهــد المســيحي بطابــع جديــد وهــو الثقافــة العربيــة الإســلامية وقــد وُجــدت أدلتهــا الماديــة في كثــير مــن مناطــق البــلاد.

ومن الناحية السياسية كانت الفوضى هي سمة الموقف السياسي في النوبة. وفي حوالي نهاية القرن الثالث عشر ظهرت ثلاث قوى رئيسية متصارعة كلها لم تكن مدفوعة باعتبارات دينية في المقام الأول وهي: ملوك دنقلا وهم يريدون الاحتفاظ بقبضتهم على السلطة، والمماليك المعادين للمسيحيين والعرب وهم يتأرجحون بين مطمعين سياسيين: نزع النوبة من المسيحيين وحماية مصر من بني كنز. وبنو كنز الذين يريدون اغتنام أي فرصة لتوسيع نفوذهم، ومستعدون للتحالف مع أي من الطرفين لذلك.

كان لهذا الصراع السياسي دوره في تدمير المجتمع السياسي المسيحي للنوبة المتمثل في دولة المقرة- وظهرت مسألة الانتماء الديني كمسألة عرضية أثناء سيطرة المنافسة والصراع السياسي. (آدمز، 2005 صـ465).

في دراسة آثار الدين في وادي النيل هنالك حوجه لدراسة المجتمع الصانع لتغيرات المشهد الديني. ومن المهم اعادة تركيب علاقة المجتمع بالرموز سواء كانت طبيعية أو الصناعية، ولا تكون الدراسة مقصورة على المظاهر الدينية فقط ولكن تفسر نواحي أخرى مثل المكون الاجتماعي والسياسي. حيث نلاحظ أن المدافن الاسلامية تصبح مقدسة. (Grzymski .2004. p23-25)

كما ان دراسة الاثار الاسلامية في السودان لابد فيها من مراعاة خصوصية مكوناتها. فالسودان يمتلك أقاليم متنوعة لها دور فعال في تحديد درجة وطريقة استجابة سكانها وتجاوبهم معها في عملية البناء الحضاري والثقافي (الشامي 2000م.ص236)

التقت في السودان مجموعات عرقية وثقافية مختلفة (نوبية – عربية /مسيحية - مسلمة) منذ العصر الوسيط وتعايشت. هذا أعطى السودان خصوصية حضارية جاءت من مكونين رئيسيين أفريقي محلي و عربي وافد، انصهرا في عملية طويلة مستمرة منذ القرن السابع الميلادي، وكون مجتمع مكتمل تمثل في مملكة الفونج Osman.1992.p228))

فكان التعايش الذي تم بين الثقافة العربية الإسلامية الوافدة والثقافة المحلية بكل موروثاتها القديمة وأوضاعها الحالية خلال الفترة المسيحية وامتزاجهما

بهدوء وبطء عبر أزمان طويلة، هو المكون الرئيسي لخصائص هذه الطبيعة الخاصة بالإسلام في السودان.

نقدم هنا نموذجا لتفسير آلية المجتمع في تكوين هذه السمة الشعبية الخاصة، التي كانت سببا في انتاج رموزه. وذلك بشرح مكونات الخريطة الإدراكية الدينية والعناصر المؤسسة للتعايش التي استطاع من خلالها المحافظة على بقائها واستمرارها.

العناصر المكونة للخريطة الإدراكية الدينية في السودان:

المجتمع:

المجتمع السوداني له بعض القوانين التي لعبت دوراً حاسماً في حفظه، واتخاذه لقراراته التي يدير بها حياته. من هذه القوانين تعايش النوبيون مع العناصر غير النوبية في المجتمع (Osman، 2004،ص40). هذا القانون النوبي الذي أدى إلى مصاهرة النوبة للقبائل العربية الوافدة، هو من أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية حتى قبل قيام المملكة الإسلامية ليصبح الإسلام دين الدولة الرسمي.

وداخل آلية هذا القانون هنالك ميل للعلاقة أو المصاهرة بين المحليين والمسئولين ورجال الدين وفي كثير من الحالات كل الأسر الدينية تتزوج من أسر محلية وهي تعتبر آلية هامة لأنها تحافظ على تماسك المجتمع وتستطيع مواجهة المشكلات التي تتبع التغيرات السياسية.

كما أن هذا المجتمع يحمل صفة تقدير وتقديس العلماء والفقهاء. يذكر بوركهاردت أن قافلته التي زار بها السودان عام 1814م كان بها فقيهان يحرسانها، ويأتي الناس الى القافلة لتقبيل أيدي هؤلاء الفقهاء.

قانون آخر لهذا المجتمع وهو الترابط، أي الطريقة الجماعية للعيش ويعتبر النفير (أي العمل الجماعي) واحد من النماذج الرئيسية للعمل. فحصاد المحاصيل يتم عبر النفير ومواجهة خطر الفيضان وبناء المساكن والمرافق العامة أيضا.

اضافة الى أن التشجيع على تعلم الدين وتعاليمه لم يقتصر على سلاطين الفونج والحكام فقط بل شارك فيه المجتمع. فقد كان سكان الحي الذي به مسجد أو خلوة يستضيفون الطلاب الغرباء في بيوتهم كأنهم أبناؤهم أو ذو قرباهم (الغنيمي .1986ص.289-291)

هذا المجتمع وبكونه قادر على الأخذ والعطاء. يعتبر أهم العناصر التي تحفظ بقاء واستمرار التعايش والحوار الحضاري. وتأتي أهميته في أنه الحامل لكل العناصر الأخرى ولسمات ثقافته المتحاورة.

وبذلك تمكن المجتمع من استيعاب الثقافات الوافدة داخل نسيجه وشكل بها تركيبته الاجتماعية القادرة على التعايش والتواصل والاستمرار.

رجال الدين:

رجال الدين في المجتمع المجتمعات السودانية لهم مكانة خاصة وقدسية كبيرة. وذلك منذ أزمان بعيدة.

كانت في النوبة ديانات مختلفة قبل المسيحية والإسلام، كان فيها الكهنة هم الصلة التي تربطهم بالإله المعبود. وبعد ظهور الديانات المسيحية كان القساوسة هم أصحاب هذه القدسية.

عندما عرف النوبيون الإسلام وكان بلغة غريبة عنهم أصبح رجال الدين وهم العلماء المسلمون الذين انتشر الإسلام على أيديهم وعلموا الناس أصول هذا الدين الجديد، أصبحوا رموزاً مقدسة يطيعونهم ويتقربون إليهم. حتى بعد قيام الدولة الإسلامية وبدء نشاط ملوك دولة الفونج في نشر الإسلام وإنشاء المدارس الدينية واستقبال العلماء لتعليم الناس تعاليم الشريعة الإسلامية. فإن معظم ذلك تم على أيدي علماء وشيوخ الطرق الصوفية. فلم ينشأ التعارض المستمر في جميع أنحاء العالم الإسلامي بين المتصوفة والمؤسسة الدينية السلفية ولم يتطور في ذلك الوقت إلى المدى المحسوس. يقول ترمنجهام «كان المزيج المتجانس للفقه والتصوف، أي تكيف الشريعة (المتشددة) مع الصوفية (المتسامحة) لقد كان رجال الدين في نفس الوقت فقهاء (عالمين بالشرع) وفقراء (عارفين بالله). (Trimingham: 1950).

ولم ينحصر دور العلماء ورجال الدين على النشاط الديني والتعليمي وحده فبجانب تولي مناصب قضائية، توسط بعض الشيوخ بين الحكام وعامة الناس بغرض حل المشاكل وتقديم المشورة والنصح.(الغنيمي .مصدر سابق. ص 147).

وقد كان احترام الملوك لرجال الدين جزء من احترامهم للدين الإسلامي. وبسبب هذه المكانة في نفوس الناس للعلماء، الشيوخ والأولياء ـــ التي هي سمة قديمة في المجتمع ـــ تفاعلت مع المعطيات الجديدة، أسهم رجال الدين بدور كبير في الصفة الشعبية للديانة الإسلامية في السودان.

المعتقدات:

ظل التأثير الديني على الحياة العامة في المجتمعات السودانية عموماً هو المكون الأساسي والجوهري في تركيب بنيته، فقد عرف أهل السودان عبر الأزمان التنوع والوحدة في العبادة. ومارسوا من خلالها الطقوس فقد قدسوا الأحجار وبعض الحيوانات وعبدوا الناس والشمس. كما مارسوا عبادة الأسلاف وتأثروا بالأرواح. وانعكس ذلك من خلال (التابو) عند بعض قبائل النيل الأزرق. كما أنهم عرفوا التوحيد الذي ارتبط بالفكر العقدي الفرعوني (عبد الله 2005، ص19).

فتشربوا بالعديد من العادات والمعتقدات الوثنية. وعندما جاءت المسيحية ارتبطت بالجهاز الرسمي للدولة، أكثر من ارتباطها بالمجتمع الذي كانت تغلب عليه تلك المعتقدات فاحتوت المسيحية العديد منها وظلت باقية فيها، وحتى بعد الإسلام استمرت بعض من هذه المعتقدات رغم أنها لا تقرها أياً من الطرق السلفية أو الصوفية بصورة رسمية.

هذه المعتقدات سادت بين النساء خاصةً في القرى، وراحت تسير جنباً إلى جنب مع الديانة الشعبية والرسمية اللاحقة. من خلال هذه المعتقدات برز جزء من معتقدات الديانة الشعبية وهي كرامات الأولياء والصالحين الخارقة للعادة وتمكنهم من إلحاق النفع أو الضرر بالأشخاص العاديين. ومنها مقدرة الشيخ على الطيران وعبور النهر سيراً على الأقدام ولدرجة إحياء الموتى وغيرها من القصص التي تذخر بها الكتب التي تحدثت عن سير ومناقب الأولياء مثل (قلائد الدر في كرامات ود بدر) للرازقي و(عقد الدر من ود حسونة إلى ود بدر)

لأبـي القاسـم عثمـان الطيـب. وطبقـات ود ضيـف اللـه وغيرهـا. هـذه الروايـات والقصـص لهـا وظيفـة هامـة متمثلـة في تدعيـم وضمـان اسـتمرارية مفهـوم الولايـة كجـزء مـن الـتراث الدينـي الشـعبي، الـذي يشـكل سـلوك العامـة وينظـم حياتهـم.

أماكن العبادة:

أماكـن العبـادة هـي أماكـن مقدسـة تتنـوع بـين أماكـن طبيعـة لهـا قدسـية خاصـة عنـد النـاس وأماكـن صناعيـة ينشـئها النـاس بأنفسـهم لأغـراض تعبديـة وممارسـة العبـادة فيهـا وتظهـر أماكـن طبيعيـة مقدسـة عديـدة مثـل جبـل الـبركل وجبـل قيـلي وعـدا وغيرهـا (Grzymski: Opcit- p:24) لديانـات قديمـة وثنيـة. كمـا شـيدت العديـد مـن المعابـد في تجمعـات تغلـب عليهـا القدسـية الدينيـة كالمصـورات مثـلاً. وأيضـاً الكنائـس والأديـرة وجـدت اهتمامـاً خاصـاً وتنوعـت تفاصيـل بنائهـا وانتـشرت في جميـع أنحـاء البـلاد.

وبعد دخول الإسـلام للسـودان أنشـأت أماكن عبادة عديدة مختلفة الأشـكال والمسـميات ترمـز لأهميـة الممارسـات الدينيـة التعبديـة لـدى النـاس، مـع العلـم بـأن الأرض كلها طاهـرة تصلح لإقامة الصلاة. ويشـير تنـوع هذه الأماكن إلى وفرة الأشـكال والممارسـات التعبديـة التـي تؤدى، فنجد المسـاجد التـي تقام فيها الصـلاة وخاصة الصـلاة الجامعة، تكـون كبـيرة الحجم لتسـع أعـداد كبيرة مـن المصليـين، والزوايـا الصغيرة وهـي أصغر حجمـاً لا تتسـع لأعداد كبـيرة، دائماً مـا تـترك لأداء الصلـوات الخمس، والمسـايد التي لا تخلـو منهـا منطقه خاصـةً القـرى، وهو مسـتخدم في كل أمـور الدين و الحيـاة اليوميه كعقـد القـران والاحتفـالات الدينيـة، وفـض النزاعـات، وإبـرام الصلـح إلى آخـر ما يهم المجتمـع الـذي لا يعـرف مكانـاً عاماً يخـرج إليه غير المسـيد، وبعبـارة أخرى هـو نادي اجتماعـي للقرية . (الطيـب: 1999، ص103) والخلاوي التي لعبت دوراً أساسـياً في نشر الثقافـة العربيـة الإسـلامية بحكم أنهـا كانت المؤسسـة التعليمية الرئيسـية في السـودان والتـي أضافـت الكثـير في تعليـم القـرآن وعلومـه المختلفـة واللغـة العربيـة. والخلوة في السـودان نمـط من أنمـاط الحياة، فهـي للكبـار دار علم وتثقيـف ومنتدى لحـوار ديني واجتماعـي، إضافـةً إلى أنهـا دار ضيافـة لنـزلاء القريـة مـن العابرين، ومحكمـة قضاء لفـض المنازعـات. وهـي إلى جانـب ذلك مـكان تعليـم مهني وحـرفي في مجـالات الزراعة والبنـاء وغيرهـا (بـدري: 1972م، ص6)، وتبنـى بطرق تتناسـب مع هـذه الوظيفة.

ومن الأماكن الخاصة بممارسات الديانة الشعبية، نجد المقابر الإسلامية بما فيها من قباب وبنايات وهي صروح تاريخية للرجال الذين جلبوا بداية معرفة الإيمان الإسلامي إلى السودان الذي كان يعيش حالة من الفراغ الروحي. التميز لقبور فئة خاصة من الناس لهم مكانتهم في المجتمع هو موروث ثقافي قديم، ظهر من عهود قديمة حيث تميزت قبور الملوك المرويين مثلا بالأهرامات الشاهقة، وفي المسيحية أيضا نجد تميز التلال الكبيرة لمقابر القديسين قرب الأديرة، تقف شاهدا على هذه الممارسة القديمة.

يأتي الناس طالبين بركة الشيوخ المدفونين بها ويسألونهم ويتحدثون إليهم، وعادة معروفة جداً أن هذه الأماكن أأمن مكان لوضع المقتنيات والممتلكات الخاصة خوفاً عليها من السرقة للاعتقاد الراسخ تماماً أن الشيخ يحمي ما وضع على قبره من اللصوص، كما أن اللصوص يهابون الاقتراب منها لذات السبب.

هذه الأماكن، التي تمارس فيها مختلف الطقوس التعبدية وتمتزج فيها تشريعات التعاليم الإسلامية بالعادات المرتبطة بالديانة الشعبية، تخدم معتقدات المجتمع ومتطلباته، وهي شهادة على هذا الدين الشعبي وعنصر فاعل في استمراره دون انقطاع للأجيال القادمة.

تصنيف المنشآت الدينية الإسلامية في السودان:

تشير المنشآت الدينية الإسلامية في السودان إلى الخريطة الإدراكية للسودانيين في جانب العقيدة والفكر الديني. هذه الخريطة الإدراكية لدى السودانيين فيما يخص عقيدتهم تكونت من تجاربهم السابقة في أزمان بعيدة، حقيقة هي لم تكن ديانة سماوية أو عقيدة خالصة. لكنها أثرت على حاضرهم، من خلال ارتباط ممارستها ومعتقداتها بالفكر الديني والعبادة في عقولهم. ومن ثم امتزج ذلك الماضي بالحاضر وكل ما يحمله من معتقدات وعبادات جديدة فنتجت عن ذلك هذه الديانة الشعبية.

الرموز الدينية في المخلفات الأثرية في السودان تتنوع و تختلف بين الديانة الشعبية والديانة الرسمية فالديانة الشعبية والتي وجدت في الصوفية متنفساً لها واندرجت تحت لوائها، يتمثل أهم رموزها في العمارة الدينية في قباب الأولياء

والصالحين. كذلك نجد الزوايا الصغيرة والتي تقيمها الطرق الصوفية وتؤدى فيها احتفالاتها في المواسم والمناسبات الدينية . فالإسلام الذي لم يكن ديانة رسمية منذ بداية دخوله، ولم تقم دولة تتبناه ديناً رسمياً لها إلا في القرن السادس عشر. انتشر وتعلمه الناس بواسطة العلماء الذين أعطاهم دورهم في تعليم الناس مكانة سامية في نفوسهم بلغت درجة عالية من التقدير.

ارتفاع درجة التقدير لهؤلاء الصالحين هي ما تدفع الناس لأن يميزوا قبورهم بمباني خاصة متنوعة من قباب وبنايات. ويتجهون إليها طالبين بركة هذا الشيخ المدفون بها. تعتبر عمارة القباب واحدة من الرموز الدينية – الجنائزية، التي أنتجها الفكر الديني. وشكلت نمط من أنماط العمارة الاسلامية الخاصة التي تعكس خصوصية طبيعة الاسلام في السودان

بينما نجد المساجد أهم رمز ديني يعبر عن الديانة الرسمية، هو المكان الذي تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والعيدين. لها هيبتها الخاصة في نفوس الناس يطبقون فيها ما جاء في السنة المطهرة من توجيهات بالاهتمام بالمظهر والسلوك العام.

وتظهر الخلوة كرمز للتعايش بين الصفتين (الشعبية والرسمية). لعل السبب في ذلك هو الوظائف المتعددة التي تقوم بها الخلوة من إقامة الصلاة والتعليم الديني والرعاية الاجتماعية بواسطة الشيوخ. وللخلوة نفس المكانة عند السني والصوفي وفيها تجتمع اهتمامات الطرفين.

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى تصنيف انواع المنشآت الدينية الإسلامية في السودان، ودورها في عكس الفكر الإدراكي الديني الإسلامي. تم استخدام منهج علم الآثار الإدراكي لفهم تشكيل هذه المنشآت وتأثيرها على المجتمع السوداني. قامت الباحثة بجولات ميدانية وزيارة عدة مناطق ومجموعات اثنية مختلفة في السودان لجمع البيانات وتحليلها. وقد أظهرت النتائج أن المنشآت الدينية الإسلامية تعكس وتعبر عن تفاوت التقاليد الدينية في المجتمع السوداني، وتعد نتيجة للتفاعل بين التعاليم الإسلامية الوافدة والعناصر الثقافية المحلية.

النتائج:

1. أظهرت الدراسة أن المنشآت الدينية الإسلامية في السودان تعكس تنوع العقائد والتقاليد في المجتمع السوداني، وتعبّر عن تفاوت الثقافات والممارسات الدينية ا لمحلية

2. تم التأكيد على أهمية منهج الآثار الإدراكي في فهم طبيعة الممارسات الدينية وتنوع المنشآت الدينية وتأثيرها على المجتمع، حيث يساهم في توضيح الروابط الفكرية والثقافية بين الماضي والحاضر.

3. أظهرت البيانات الميدانية أن الطرق السلمية لانتشار الإسلام في السودان كانت لها تأثير كبير على تشكيل المنشآت الدينية ودورها المجتمعي.

4. توصلت الدراسة إلى أن المنشآت الدينية الإسلامية في السودان تعكس تلاحمًا بين التعاليم الإسلامية والثقافة المحلية، وتشكل واقعًا سلوكيًا متحدًا.

5. تعزز النتائج فهمنا للخريطة الإدراكية الدينية في المجتمع السوداني، وتسلط الضوء على العلاقة المتبادلة بين الدين والثقافة.

التوصيات:

- ضرورة التركيز على فهم وتحليل الجوانب الفكرية في شرح الرموز الثقافية للمجتمعات. وتطوير مناهج تفسير العمليات الثقافية باستخدام مداخل متعددة.

- العمل على اجراء مزيد من الدراسات التي تركز على تأثير المنشآت الدينية على الهوية الثقافية في المجتمع السوداني ودورها في تكوين هذه الهوية.

- العمل على تثقيف المجتمع المحلي وتعزيز الوعي بالتراث الثقافي والتاريخي للمنشآت الدينية الإسلامية في السودان يشمل ذلك الجوانب الثقافية والفنية والتاريخية للمنشآت الدينية، وذلك لتعزيز الاحترام والتقدير لهذا التراث الثقافي الأصيل.

المصادر والمراجع

(1) آدمز، ويليام: النوبة رواق أفريقيا. ترجمة محجوب التجاني محمود، ط2، مطبعة الفاطمية أخوان ـ القاهرة 2005م.

(2) بدري: بابكر ـ تاريخ حياتي ـ الخرطوم 1972م

(3) الشامي، صلاح الدين علي: السودان دراسة جغرافية ـ ط3 ـ الناشر: منشأ المعارف بالإسكندرية 2000م.

(4) الطيب: الطيب محمد، المسيد ـ ط2ـ الصالحاني للطباعة ـ دمشق 1999م.

(5) عبد الله، فضل الله أحمد: التنوع الثقافي أصل الحضارة السودانية ـ مجلة الخرطوم،ع4، ص17-21، أبريل 2005م.

(6) الغنيمي. عبد الفتاح مقلد. الاسلام والعروبة في السودان. العربي للنشر والتوزيع القاهرة 1986م

(7) مسعد. مصطفى محمد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ـ بحث في تاريخ السودان وحضاراته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، مطبعة لجنة البيان ـ القاهرة 1960م.

(8) Edwards N. David 2004: The Nubian past: an archaeology of the Sudan. by Routledge , London

(9) Grzymski. K, 2004. Landscape Archaeology of Nubia and central Sudan– African Archaeological Review, vol 21.No1

(10) Osman, A, 1992 :Nationalist Archaeology the case Sudan –In .Bonnet, c(ed) of Etubes nubiennes, vol1, Geneva: p:225-236

(11) A 2004: Archaeology and settlement in the third cataract Region – Azaniaxxxix

(12) Renfrew,C 1993. Archaeology– Theories, Methods,practice .p.369–393.

(13) Tramingham, J,S: 1950 :Archaeological Research at the Medieval .Blue Nile B.I.E.A.PP–13–42.Nairobi capital on

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

ISSN: 1858-9928 ردمك